قصة
قصيرة

صـــــورة

بقلم / د. حسن الوراكلي

انقضت الدقائق الثلاثون التي وعد الصديق (س) أن يعود خلالها . . . ولم يعد بعد! .

منذ لحظات . . دخلنا المدينة . .

صباح رمادي اللون . . تنذر سماؤه الغائمة بأمطار غزيرة . . .

ما أحوج (البلاد والعباد) إلى الأمطار الغزيرة . . !

همست إلى نفسي أو همست إليّ نفسي :

﴿ . . . وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ .

كان الصديق (س)، قبل أن يمضي لقضاء بعض مآربه، أشار عليّ أن أنتظره في« منتزه المدينتين» . وهو منتزه لاسمه موقع في قلبي . . . إنه يقع في ملتقى المدينتين القديمة والجديدة : التراث والمعاصرة!

منذ زمن غير يسير أعلنت عصياني على المقاهي . . غير أنني، اللحظة؛ وقد أخذ العياء مني مأخذه . . سلمت أمري إلى الله!

وجلست في انتظار الذي يأتي!

رميت بصري إلى الأفق الغربي حيث ترقد المدينة الجديدة . .

طالعتني منارة «الكتدرائية ترتفع في (أمان واطمئنان) . . .

همستُ لنفسي أو هَمَسَتْ لي نفسي :

(لابأس عليها، وعلينا، فنحن أمة سلام وتعايش) .

تحولت ببصري إلى الأفق الشرقي حيث ترقد المدينة القديمة . . . . .

وتتراءى المآذن وتتزاحم . ومنها ترتفع أصوات المؤذنين نهاراً وليلاً بكلمات كن عدة أمة لم تكن لها من قبل عدة دخلت بهن التاريخ وصنعت بهن الأمجاد . . .

همست إلى نفسي أو همست إلى نفسي :

(ثم . . . ماذا؟ ليس في الأمر خفاء . . حين لم تعد هذه الأمة تسمع) تلك الكلمات و(تعيها) لتبدع بوحي منها وتنجز، وتفتح بها المغلق، وترتاد المجهول . نحاها التاريخ إذ ذاك عن طريقة . . ثم أخرجها من فلكه مذمومة . مدحورة!) .

لم يعد صديقي بعد!

غير بعيد عني كانت تجلس امرأة تتدثر

قصة قصيرة

بجلباب وتنتقب ببرقع أسود، وبجانبها رجل، الظن أنه زوجها . . . كهل ذو وجه حليق محتقن. منذ جلس وهو يدخن . . ويحوقل! كان يبدو قلقاً. منزعجاً. وعبثاً كانت تقول له في صوت مسموع محاولة أن تخفف من قلقه وانزعاجه (ما يكون بأس يا حاج . . أين تكون بنتك؟ إما في الكلية أو في الحي . . سوف تأتي؟) إن قلق الرجل وانزعاجه مردهما إذن إلى تأخر ابنته عن المجيء إليه في موعد سبق أن اتفقا عليه. وحين أقبلت . . كاسية . . عارية . . في أبهى زينة و(أرقاها) اخلع عليها ما شئت من الصفات والنعوت إلا أن تقول (طالبة) . . . وحين وقفت تتدلل وتلقي على والديها بـ(بونجور)[1]، انشرحت أسارير (الحاج) وتنفس الصعداء. وقال لها: (تأخرت يابنتي). وازدادت أسارير وجهه انشراحا وهي تقول له مشيرة إلى شاب كان يقف بجانبها وقد تدلى شعره على كتفيه ووجهه (بقيت مع فاروق . . . صديقي وزميلي في الكلية).

حوقلت كما كان يفعل (الحاج) منذ لحظة . . .

ثم همستُ إلى نفسي أو همست إلي نفسي:

(أو على أكتاف مثل هذه الأسرة ستبني هذه الأمة كيانها وتحصن وجودها!؟).

لم يعد صديقي . . . بعد!

لأقراء . . .

قلبت أوراق صحيفة (وطنية) كنت أمسك بها. رددت النظر في مختلف العناوين كبيرة وصغيرة: (حملة للتوعية الدينية في جميع مساجد البلاد). (سهرات إلى الصباح بالفندق الكبير بمناسبة رأس السنة: موسيقى. مالذّ من الطعام والشراب!) (أوقات الصلاة لبعض المدن وما جاورها) . . .

كما كان يفعل (الحاج) الحليق منذ لحظة . . . حوقلت وحوقلت!

لم يعد صديقي . . . بعد!

في الرصيف المقابل يشجر خصام بين رجلين سرعان ما يتحول من كلام بذيء وساقط يتبادلانه إلى معركة (ساخنة) بالأيدي والأرجل . . . يتجمع الخلق حولهما من كل فج وصوب. وكأنما انشقت الأرض فجأة، عن شرطيين اخترقا الجمع يرغيان ويزبدان. ثم ما هي إلا لحظة كلمح البصر حتى انفضّ الجمع (شَذَرَ مَذَرَ) مشيعاً بسبّ الشرطيين وسبابهما، وسيق أحد المتخاصمين دون الآخر. لم ندر سبباً لذلك. تنهال عليه صفعات الشرطيين. ومع كل صفعة، أو ربما قبلها وبعدها كذلك. كان أحدهما يرفع عقيرته على رأس الملأ: (ولد الكلاب . . . زد. الله يلعن . . . !).

مثلما كان يفعل (الحاج) الحليق منذ لحظة . . . حوقلت وحوقلت!

لم يعد صديقي . . . بعد!

ثلاث فتيات في عمر الزهور يقبلن وهن يرتدين ثيابا فضفاضة ويغطين رؤوسهن بشالات مختلفة ألوانها. حين مر بهن شابان قال أحدهما للآخر:

(انظر . . . رجعيّات!)

شعرت برغبة جامحة في اللحاق به لأصرخ فيه:

- (بل مسلمات ملتزمات . . .)

لكني كتمت غيظي، وفعلت مثلما كان يفعل (الحاج) الحليق منذ لحظات. حوقلت وحوقلت في انتظار الذي يأتي . . !.

حين عاد الصديق (س) حدثته بما حدثتكم به . . .

قال لي:

- ومتى يهتدي هؤلاء . . ؟

أطرقت برهة، ثم قلت:

- (. . . حتى تأتيهم «البينة» مبرأة من الشوائب، مجردة من الأهواء، غضة، طرية كما أنزلت!).

هيا بنا نستأنف رحلتنا . . ندخل مدينة وأخرى كهذه تكثر صوامعها . . .

(١) كلمة «بونجور» بالفرنسية تعني صباح الخير.